الفصل الثالث

الأسطورة الكبرى

هيكل سليمان التوراتي

بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، انتهزت الصهيونية العالمية تجاوزات هتلر تجاه اليهود، ونسجوا المآسي الخيالية عن ذبح ستة ملايين يهودي، وجعلوا منها أسطورة وورقة ضغط على الشعب الألماني وبقية الشعوب الأوروبية.

انتهزت الصهيونية العالمية هذه الكذبة الكبرى وروجوا عالميا لأسطورتين جديدتين هيكل سليمان وحائط المبكى. وجاء هذا الترويج الإعلامي ليكمل البداية التي بدأت أيام «هرتزل» عندما وضعت بذور الصهيونية العالمية في مؤتمر «بال» في سويسرا ووقع يومها الاختيار على فلسطين لتكون وطنا عنصريا لليهود بعد طرد أهلها منها، ورفض اليهود إقامة وطن لهم في أفريقيا أو في أي مكان آخر من العالم، وكان الاختيار الصهيوني لفلسطين قد لقي هوى عند الغرب إذ وجد الحل المناسب للقضاء على وحدة الدول العربية الإسلامية، وزرع شوكة في قلب الامتداد العربي الواسع من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي.

ومنذ ذلك الوقت عكف كهنة يهود على كتابة كتابين هامين بالنسبة لهم هما (التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون)، وضمنوهما كل المبادئ والأطماع الصهيونية، مثل أرض الميعاد، ويهوذا والسامرة، وهيكل سليمان وحائط المبكى، وإسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، وبالتالي كان لابد من تحريف التوراة مرة أخرى لتتفق والأساطير الجديدة.

ومع الوقت، والانفراد الصهيوني بالساحة الإعلامية العالمية نجحوا

إلى حد كبير في إقناع العالم الغربي المسيحي بتلك الأساطير، حتى أصبحت قضايا مسلما بها لدى المسيحيين في الغرب، هذا بالإضافة إلى وضعهم تحت ضغط مستمر باستخدام ورقة النازية وتهمة معاداة السامية، والتي تمثل الآن سيفا على رقاب الأوروبيين والأمريكيين.

بداية الأسطورة

إفترض اليهود أن الملك سليمان بنى هيكلا أو معبدا أو بيتا ليعبد فيه الله، وكان المصدر الوحيد لهذا الادعاء هو التوراة فقط التي دونها الكهنة اليهود بعد أن عادوا من السبي والعبودية في بابل بزمن غير قصير.

فقد جاء في التوراة: «١ وأخذ سليمان في بناء هيكل الرب في بَيْدَرِ أُرْنَانَ اليبوسي في أورشليم على جبل المرايا، حيث تراءى الرب لداود أبيه، وحيث وقع اختيار داود على مكان الهيكل» {كتاب أخبار الأيام الثاني ٣:١}.

وفي هذا الخصوص يقول الدكتور/ أحمد العلمي الباحث المتخصص في تاريخ القدس وفلسطين «إن أول معبد أو كما يطلقون عليه هيكل الذي بناه سيدنا سليمان عليه السلام (ويبدو أنه نفس المكان الذي سبق واختاره سيدنا داود عندما اشتري بيت اليهودي الطماع، لكن منيته سبقت البدء في البناء، وتولى أبنه سليمان إتمام البناء) لم يكن في منطقة الحرم القدسي الشريف كما يدعون إطلاقا، وهم يعلمون ذلك تمام العلم، وهو أيضا مثبت وموثق في كتبهم الدينية، ومع ذلك وحتى يعلم الجميع، أن نوع بناء هذا المعبد الأول كان من الخشب الذي أهدي لهم من ملك صيدا وصور حينذاك، وبالتالي لم يكن متينا، هذا من جانب.

والواقع أنه عندما غزا «نبوخذ نصر» هذه البلاد حوالي سنة ٥٠٠ ق.م، دمر كل ما له علاقة بالمقدسات اليهودية بما في ذلك المعبد تماما بحيث لم يبق له أي أثر، ولذا فإن اليهود عندما يبحثون لا يبحثون عن الهيكل الأول، لأنهم يعلمون أنه قد انتهى أمره ولم يعد له أي وجود منذ ذلك الحين.

وعندما عادوا بعد سبيهم من قبل «نبوخذ نصر» إلى بابل، أعيد بناء الهيكل الثاني كمعبد ليس إلا وذلك في عهد الحاكم «هيرودس» الذي بني في عهده الكثير من الأبنية، ومنها على سبيل المثال ما يشبه المدرج الروماني، علما بأن ذلك المعبد أيضا لم يكن ضمن حدود الحرم الشريف أو عند مكان المسجد الأقصى، ومع ذلك فقد دمر تماما هو الأخر على يد الحاكم تيتوس.

ويشير الدكتور/ أحمد العلمي إلى نبوءة السيد المسيح عليه السلام عندما قال: «١ ثم خرج يسوع من الهيكل، ولما غادره تقدم إليه تلاميذه، ولفتوا نظره إلى مباني الهيكل. ٢ قال لهم: أما ترون هذه المباني كلها؟ الحق أقول لكم: لن يترك هنا حجر فوق إلا ويهدم» {إنجيل متى ١:٢٤ و٢} وكان يتحدث عن ما كان في زمانه، وبنفس المعنى جاء في إنجيل مرقس: «وبينما كان يغادر الهيكل، قال له أحد تلاميذه : يا معلم، انظر ما اجمل هذه الحجارة وهذه المباني!، فأجابه يسوع «أترى هذه المباني العظيمة ؟ لن يترك منها حجر فوق حجر إلا وهدم!» {إنجيل مرقس ١:١٣ و٢} وفي إنجيل لوقا: «٥ وإذ تحدث بعضهم عن الهيكل بأنه مزين بالحجارة الجميلة وتحف النذور، ٦ قال: «إن هذا الذي ترونه، ستأتي أيام لا يبقى فيها حجر منه فوق حجر إلا وهدم» {إنجيل لوقا ٥:٢١ و٦}.

ويكمل الدكتور/ أحمد مقاله قائلا: «وللتدليل على ذلك فإن المؤرخين الذين حضروا تدمير القدس على يد تيتوس لم يجدوا ما يشير إلى وجود مدينة أصلا، ولذا فإن كل من يقول إن الهيكل كان مكان الحرم القدسي الشريف فإنه كاذب، ذلك كله اختراع لا أساس له من الصحة، فالمعبد أو كما يسمونه الهيكل لم يكن في أي يوم من الأيام مكان المسجد الأقصى المبارك.. والأمر ليس إلا مؤامرة دولية لها أهداف سياسية أكبر مما نتصوره جميعا».

ومن المنظور الديني يقول الشيخ/ حيان الإدريسي خطيب المسجد الأقصى المبارك «إن الحاكم هيرودس عندما أقدم على بناء معبد لليهود فإن ذلك كان استرضاء لهم ليس إلا، ووضع فيه تماثيل ربما تكون رومانية ليس لها أية علاقة باليهود أو اليهودية، لكن اليهود وقتها اعتبروا هذا المعبد مكان المعبد الأول أو الهيكل الأول الذي دمره «نبوخذ نصر».

كما ورد في التوراة خطأ آخر بالنسبة لأسطورة الهيكل تؤكد أنه في مكان غير فلسطين وغير أورشليم القدس إذ قيل في التوراة : «٨ ثم تصعد باتجاه وادي أبن هنوم على محاذاة المنحدر الجنوبي لأورشليم مدينة اليبوسيين» {كتاب يشوع ١٥:٨}، وجاء هذا النص في معرض تقسيم نصيب يهوذا من الأرض.

ووادي أبن هنوم هو وادي «هنومة» في اليمن وقد حدده وبدقة العالم المؤرخ اليمني الدكتور/ يحيى بن الحسين في يومياته عن صنعاء، وهذا يعنى أيضا أن أورشليم التوراتية لم تكن في فلسطين بل كانت في اليمن، وبالتالي فهي غير أورشليم مدينة يبوس عاصمة الكنعانيين واليبوسيين وعاصمة الفلسطينيين.

وإمعانا في المغالطة التاريخية ورغبة في صنع تاريخ ديني لا وجود له، وضعت الصهيونية سيناريو ملفقا عن قصة هيكل سليمان، إذ يذهب الرأي الشائع عندهم بناء على ما ورد في القصص التوراتية الملفقة، إلى أن الملك داود قام بالاستيلاء على مدينة القدس اليبوسية عند بداية القرن العاشر قبل الميلاد، وجعلها عاصمة لملكه، وتستمر الرواية في خيالاتها وتقول، أن داود احضر تابوت الرب الذي حفظ فيه موسى عليه السلام ألواح التوراة، ووضعه عند الصخرة، التي كانت مذبح اليبوسيين ومكان عبادتهم، ثم قام سليمان بن داود ببناء الهيكل حول الصخرة والتابوت، فصارت الصخرة بمثابة قدس الأقداس أو المحراب في معبد الهيكل.

ويتضح من التفاصيل التي وردت في الإصحاح السادس من سفر الملوك الأول أن الهيكل كان على شكل مستطيل يتجه شرقا، ويتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية هي البهو الأمامي - وبه عمودان أمامها (ياكين وبوعز) - ثم القاعة الرئيسية التي تضيؤها نوافذ عند السقف، وفي المؤخرة يوجد قدس الأقداس على شكل غرفة مكعبة حول صخرة المذبح ليس بها نوافذ، ووضع التابوت في غرفة الصخرة بين أجنحة الكروبيم المرسومة فوقه.

هكذا كانت القصة الصهيونية، التي بني عليها أسطورة هيكل سليمان، والتي تمكنت الصهيونية العالمية من تثبيتها في عقول العامة في الغرب، وأيضا لدى اليهود البسطاء.

ورغم عدم وجود أدلة أثرية تؤكد هذه الرواية التوراتية بخصوص

بناء الهيكل، فهناك العديد من الدلائل التي تشير إلى وجود معبد حول الهيكل منذ عصر اليبوسيين.

فهناك تفسير تاريخي يذهب إلى أن هذا المعبد بناه المصريون وليس ملوك بني إسرائيل، فقد كانت لمصر حامية عسكرية في المكان المعروف باسم إسطبل سليمان منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد، في الركن الجنوبي الشرقي لساحة الحرم الشريف، وكان المصريون القدماء يقيمون معابدهم بالقرب من حامياتهم في فلسطين وسوريا، وبالتالي لا توجد أدلة على وقوع القدس تحت سيطرة ملوك بني إسرائيل في الوقت الذي عاش فيه داود وسليمان عليهما السلام.

أسطورة حائط المبكى

في ١٥ من أكتوبر عام ١٩٩٩ نشرت جريدة الأهرام القاهرية بحثا علميا دقيقا للدكتورة/ نادية سالم عن حائط المبكى، توصلت من خلاله إلى أن أسطورة «حائط المبكى» التي يروج لها اليهود على أن هذه الحائط التي يقولون أنها جزء من سور هيكل سليمان، وبالتالي فهو من أهم آثارهم الدينية المقدسة ليس إلا كذبة تاريخية ثانية لا تقل في وقاحتها وتزييفها للتاريخ عن كذبة هيكل سليمان.

فهذا الحائط الذي يقف أمامه اليهود المتطرفون يبكون بشكل مثير للضحك ليس إلا جزءً من حائط كبير بناه السلطان العثماني «سليمان» الملقب بالقانوني الذي استمر حكمه من عام ١٥٢٠ إلى ١٥٦٦ من الميلاد، في معرض اعتنائه ورعايته للمسجد الأقصى، وهو المسمى بحائط البراق.

وما تبقى من هذا الحائط يبلغ طوله ٤٨٥ مترا وبارتفاع ١٨ مترا،

كان معظمه مختفيا بسبب أبنية منازل حي المغاربة، ولم يظهر منه غير ٢٨ مترا ما بين بناية المحكمة في الشمال وباب المغربة في الجنوب، وأمامه شارع ضيق عرضه ٣,٣ مترا، يقع حي المغاربة في غربه.

وتعددت محاولات اليهود للاستيلاء على هذا الحائط بمحاولة الشراء أو الرشوة والتملك بجواره طوال القرنين التاسع عشر والعشرين، ثم لجئوا إلى العنف للاستيلاء عليه لجذب حماس يهود العالم إلى المشروع الصهيوني في فلسطين عام ١٩٢٩ الأمر الذي أدى إلى اشتباكات عنيفة بينهم وبين الفلسطينيين أصحابه في ما عرف بثورة البراق عام ١٩٢٩، ولفض الاشتباك شكل المستعمر البريطاني في ذلك الوقت لجنة تحقيق لتحديد حقوق الملكية للحائط قررت أن المسلمين هم المالكون الوحيدون له وللمناطق المجاورة، وأن حدود اليهود تقتصر على الوصول إليه لأغراض دينية، وهكذا رسخ المستعمر البريطاني الذي سلم كل فلسطين لليهود فيما بعد، رسخ حقا لليهود لم يكن لهم من قبل على مدى التاريخ كله.

وفي عام ١٩٦٧ قام المستعمر الإسرائيلي بهدم حي المغاربة وكشف بقية الحائط، كما قام بتوسعة الشارع الذي اصبح الآن يمثل ساحة كبيرة جعلوها مركزا دينيا لهم.

كما أننا نجد أن أسطورتي هيكل سليمان وحائط المبكى لم يرد لهما ذكر في تاريخ شعوب الشرق القديم التي ترجع إلى الفترة نفسها، كما لم تظهر لهم آثار في الحفريات التي أجريت في المنطقة.

وبالرجوع إلى الآثار المصرية القديمة المعاصرة للفترة نفسها وهي الأكثر دقة بين مختلف آثار العالم نجد أنها لم تذكر شيئا عن الهيكل وحائط المبكى هذا..؟!

والأمر اللافت للانتباه والمؤكد لما نذهب إليه أن كل شعوب الأمم التي وفدت إلى فلسطين وإلى أورشليم القدس، أو التي أقامت حولها، تركت وراءها آثارا عثر عليها لتصبح دليل شهادة على صلتها بالأرض والمكان، إلا اليهود فلم يعثر لهم على أي أثر..!!

فقد عثر على آثار في عهود النطوفيين والغسوليين والعموريين والكنعانيين (اليبوسيين) والمصريين والهكسوس والبابليين والاشوريين والفرس واليونان والرومان ومن بعدهم حتى التتار، فكل هؤلاء تركوا آثارا في أورشليم القدس وفي فلسطين وما حولها إلا بني إسرائيل وملوكهم.

لذلك وفي يوليو من عام ١٩٩٨ قرر فريق من علماء الآثار العاملين لدى هيئة الآثار الإسرائيلية التوقف عن العمل، والإعلان عن بطلان الإدعاء بأن داود التوراتي هو الذي أنشأ مدينة أورشليم القدس، كما ذهب آخرون إلى القول بأن التوراة وأساطيرها ليست أصلية وواضح أنه أدخل عليها تحريفات، وذكرت فيها قصص لا تتفق والواقع، وأن من كتبوها تأثروا بأساطير ومعتقدات الشعوب التي سبقتهم والتي عاصروها، ومن ثم جاءت أخبار هيكل سليمان المزعوم على غرار هياكل تلك الشعوب. وبالتالي كانت مغادرة هؤلاء العلماء إسرائيل البعض إلى بلادهم والبعض الأخر إلى اليمن وأفغانستان لمتابعة أبحاثهم.

اختلاق التاريخ

إن آفة الدول حديثة النشأة، أن تجد نفسها بغير تاريخ أمام دول من العالم صاحبة تاريخ وحضارة عريقة، فسنوات عمرها القصيرة لا تحمل ما يمكن التفاخر به أو التحدث عنه، بل في الغالب الأعم يحمل تاريخها القصير الخزي والعار، تماما كتاريخ دولة إسرائيل

ومن قبلها جنوب أفريقيا قبل التحرر من العنصرية و لولايات المتحدة الأمريكية وبقية الدول المماثلة.

هذه الحقيقة المؤلمة دفعت اليهود إلى البحث عن تاريخ، بعد أن كانوا قد اوهموا العالم أن لهم تاريخا عظيما في الماضي، وأنهم ليسوا مستعمرين بل هم عائدون إلى أرضهم لاسترجاع تراثهم القديم، ولما لم يجدوا شيئا تحولوا لصناعة تاريخ يدعم أكاذيبهم، واستندوا في ذلك على مجموعة من الأساطير التوراتية لتوثيق ادعاءاتهم.

من هذا المنطلق ظهرت جمعيات لبحث عن تاريخ لليهود، وأخرى لكتابة هذا التاريخ وتوثيقه من أجل دعم وجود الدولة الدخيلة التي قامت على أرض الغير.

وكانت أول الجمعيات «جمعية صندوق استكشاف فلسطين» التي تأسست في لندن عام ١٨٦٥، وكان هدفها البحث عن أدلة تتفق والاساطير والقصص التوراتية المختلقة، وأعلنوا أن عملهم سيقوم على البحث العلمي المنهجي، استنادا على علوم الآثار والطوبوغرافيا والجيولوجيا والجغرافيا الطبيعية.

بعدها تأسست جمعية في عام ١٨٧٠ حملت نفس أسم الجمعية السابقة وأخذت بالأهداف نفسها، وفي العام نفسه تأسست «جمعية الآثار التوراتية» وهي جمعية بريطانية.

ثم تأسست بعد ذلك «الجمعية الألمانية للأبحاث الفلسطينية عام ١٨٧٧، وتلتها جمعية باسم «المدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية والاثرية عام ١٨٩٠، ثم «الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية» عام ١٨٩٧.

وكان لليهود الألمان اهتمام خاص بمثل هذه الأبحاث فأنشئت جمعيات لهذا الغرض في مدينة القدس بدءً من عام ١٩٠٢.

وفى عـام ١٩٢٠ بعـد أن تسلم المندوب السـامي البـريطاني الصـهيوني «هربرت صـموئيل» الحكم المدني لفلسطين، انشـأ دائرة الآثار الفلسطينية وعين «جون جارستانج» اليهودي رئيسا لها، ومن يومها توافد على فلسطين عشرات من الأثريين الباحثين من مختلف الجنسيات، وتمكنت الصهيونية من السيطرة على مراكز الأبحاث والدراسات في فلسطين، كما تمكنوا من إيجاد طبقة من علماء الآثار المسيحيين الذين أطلق عليهم (الأثريون التوراتيون).

وتركز عمل اليهود منذ عام ١٩٢٠ بكثافة للعثور على ما يؤكد ويساند ما بين أيديهم من أساطير وروايات جاءت في التوراة ثم في كتابي التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون.

رفض الأثريين للأساطير

بعد مضي سنوات من العمل المضني في البحث والتنقيب شكك عدد من العلماء في وجود ما يبحثون عنه، وأعلنوا رفضهم للفكر التوراتي الذي يقودهم في البحث والتنقيب، وكان أولهم العالم الألماني «ارنست سيلين» الذي حذر من الربط بين الآثار والتوراة، وقال أن الموضوع أكثر تعقيدا مما تصوره التوراتيون الأمريكان.

ولحق بالألماني الأب الفرنسي «رولاند ديفو» الذي صرح بأنه لا يمكن فهم الآثار للبرهنة على صحة التوراة، وأن لكل منهما منهجا مختلفا في البحث، ثم رفض بعده هذا النوع من العمل الباحث الهولندي «هانك فرانكن» الذي قال أنه خطأ كبير المزج بين الآثار وأعمال التنقيب من وجهة نظر التفسير التوراتي.

أما آخر الخارجين على التوراتيين فمجموعة الباحثين الإنجليز

التابعين لجامعة لندن إذ رفضوا الأسلوب اليهودي في البحث العلمي، وأكدوا أن كل الآثار المكتشفة لا تمت بصلة للأساطير التوراتية.

أما الدكتور/ توماس طومسون عالم الآثار الأمريكي فكتب كتابا بعنوان «التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي» ذكر فيه أن كل المكتشفات الأثرية التي تم العثور عليها في فلسطين المحتلة أو في القدس تدل على أن هذه الأرض ملكا للفلسطينيين نزولا إلى الكنعانيين، وأنه لا يوجد شئ يؤكد صحة الروايات التوراتية، وأنه يري ضرورة إعادة كتابة التاريخ الفلسطيني وليس الإسرائيلي.

وبهذه الحقيقة العلمية أغضب طومسون اليهود والأمريكيين المناصرين لهم، وكانت النتيجة فصله من الجامعة الأمريكية التي كان يعمل بها..!!

التوراة بلا إثبات على الأرض

في صباح يوم التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٩٩ والصراع العربي / الإسرائيلي مستمر ما بين الجمود والجمود الميت الذي ينبئ بالأخطار، خرجت صحيفة «ها أرتس» الإسرائيلية تحمل مقالا للأستاذ الدكتور/زئيف هرتسوج أستاذ علم الآثار في جامعة تل أبيب Ze`ev Hrrzog أعد بمثابة حكما بالإعدام على التوراة التي بين أيدي اليهود وبكذب كل الأساطير التوراتية.

إذ قال في المقال: (بعد سبعين سنة من الحفريات المكثفة في الأرض، وجد الأثريون الآتي: «نحن - يقصد الإسرائيليين - لم نقم بغزو الأرض كما ورد في كتاب يشوع [٣] - ويقصد أرض فلسطين - ولم يكن هناك أي ذكر لإمبراطورية داود وسليمان..

هذه الثورة التي أحدثها التنقيب الأثرى لم تصل إلى وعي العامة بعد، ولكن لا يمكن تجاهلها.. فالتوراة تصف هذه الفترة - يقصد فترتي داود وسليمان - بأنها الذروة لسلطة إسرائيل السياسية والعسكرية والاقتصادية في العصور القديمة.. في حين أن الاكتشافات الأثرية في مواقع عديدة لا تشهد على قيام إمبراطوريتين في هذه الفترة، وإن كان هناك شئ فهي كيانات هزيلة من حيث النطاق والسلطة.. ولم يعثر على أي أبنية أو بقايا، إنما كل ما عثر عليه قطع كسر قليلة لأواني فخارية..

إذن الواضح أن أورشليم (القدس) في زمن داود وسليمان كانت بلدة صغيرة، وعلى أية حال لم تكن عاصمة لإمبراطورية كما هو موصوف في التوراة.. فداود وسليمان كانا رئيسين لملكتين قبليتين سيطرتا على مناطق صغيرة..

إذن المملكة الموحدة العظيمة التوراتية هي من إبداع روائي تخيلي.

إذن من نصدق التاريخ والواقع وشهادة العلماء وعلى رأسهم عالم يهودي وأستاذ جامعي متخصص..؟! أم نصدق الأساطير والادعاءات الصهيونية الكاذبة..؟!